# لهود

مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدرها وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة

المجلد السادس والثلاثون العدد الثاني لسنة ٢٠٠٩م

WWW.ATTAWEEL.COM

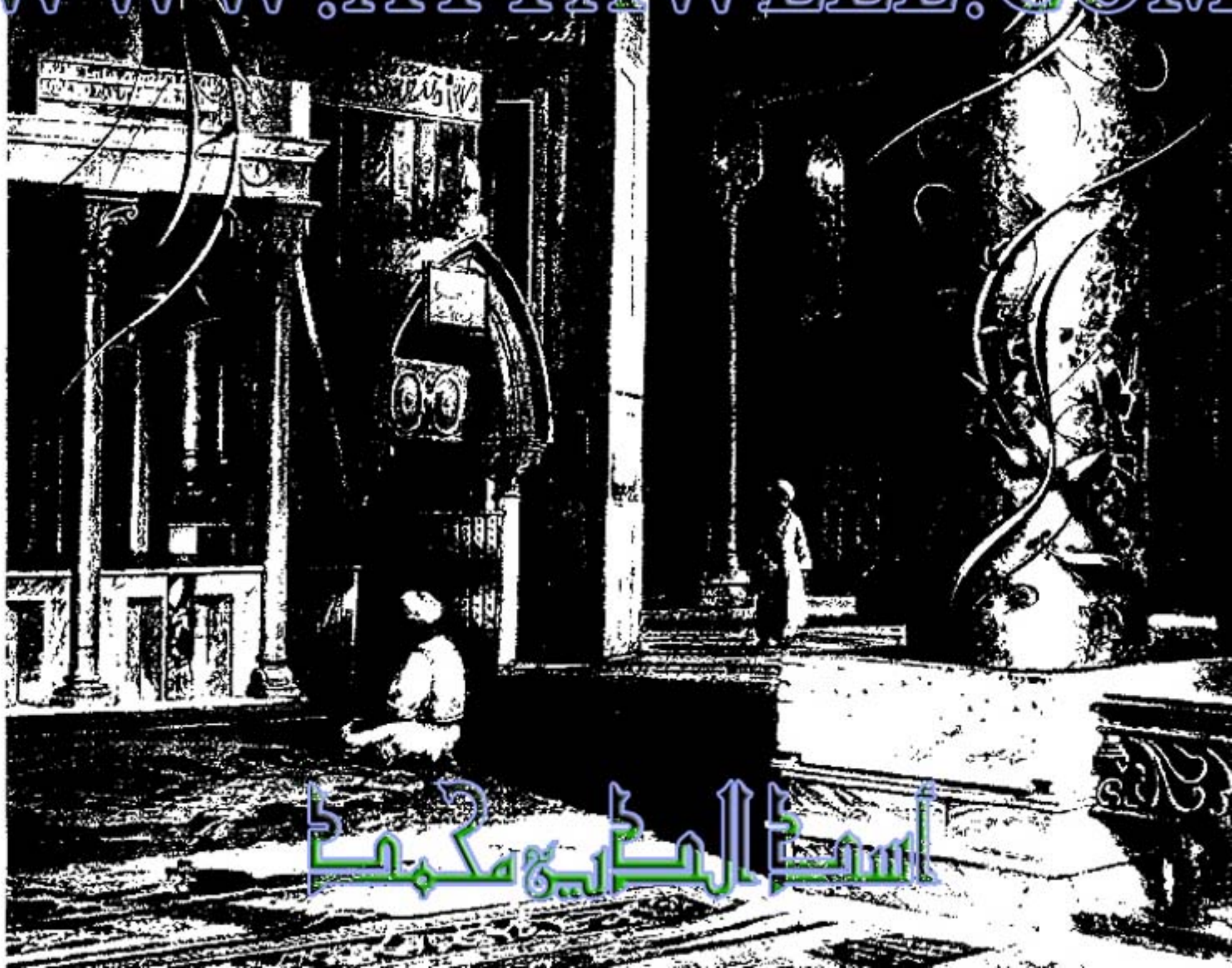

أسعد الحكيم

# من عقوق التلامذة لأساتيذهم[*]

الدكتور عبد الله مسلم القيسي

من المطبوعات التي صدرت حديثا كتاب بتحقيق الدكتور حاتم الضامن الأستاذ (سابقا) في جامعة بغداد. ومن بينها كتاب (دقائق التصريف) لأبي القاسم المؤدب من علماء القرن الرابع الهجري. وقد سجل في صفحة العنوان: (تحقيق الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن). وكتب على الصفحة الأولى (الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ: ٢٠٠٤م... حقوق الطبع محفوظة. يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه إلا بإذن خطي من دار البشائر .... دمشق)).

والذي يعرفه الباحثون واشتهر بينهم أن هذا الكتاب شارك في إنجازه مع الدكتور حاتم كل من المرحوم الدكتور أحمد ناجي القيسي عضو المجمع العلمي العراقي والدكتور حسين تورال التركي الجنسية وقاموا بتحقيقه، وطبعه المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨٧ وسجلت اسماء المحققين الثلاثة على صفحة العنوان.

وتبادر الى أذهاننا أول الأمر ان دار البشائر قد تصرفت من جانبها فأصدرت الكتاب باسم محقق واحد متجاهلة شريكيه أو أن الضامن وجدها سانحة بعد انتقال أستاذه الى الرفيق الباقي وانقطاع اخبار زميله التركي فأخفى الاسمين وقدم لدار النشر الكتاب موحيا تملكه إياه منفردا على عادته في نسبة آراء الباحثين الى نفسه أو صبها في مؤلفاته أحيانا من دون الإشارة الى سبقهم أو الإحالة الى مصنفاتهم.

وتبادر الى أذهاننا أيضا انه قد أضاف جديدا الى الطبعة الأولى ظانا أن الإضافة تخوله الهيمنة على الكتاب وتجنبه معرة إغفال اسم العالمين الجليلين.

وحين بدأنا ننظر في الكتاب أذهلنا وأحزننا أن نقرأ في المقدمة تجريحا لأستاذه القيسي. واتهاما له بالسطو على جهده، وجرأة على تجريده من أي عمل قام به في الكتاب فضلا عن الأستاذ التركي. نقول راعنا ان نقرأ قول الضامن في الطبعة الجديدة (وفي هذه الطبعة بيان وتوضيح حول حقيقة الظروف التي أحاطت بتحقيق الكتاب ونشره في المجمع العلمي العراقي) ثم ذكر الظروف في الهامش قائلا: (كان د. أحمد ناجي القيسي رحمه الله تعالى قد طلب الي تحقيق هذا الكتاب لنشره في المجمع العلمي العراقي ولكن بشرطين: الأول ان يكون مشاركا في التحقيق. والثاني أن يكون د. حسين تورال مشاركا ايضا لأن الفضل يعود اليه في تصوير المخطوطة، فأنجزت تحقيق الكتاب في ثلاث سنوات لم يشاركني فيه احد. وأخي الشاعر وليد الأعظمي على علم بذلك، وهكذا كان أمر الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧.

واليوم بعد مضي سبع عشرة سنة اعلن هذه الحقيقة، واقدم هذه الطبعة المنقحة، والحمد لله أولا وآخرا).

* سبق للدكتور الضامن أن نشر شعر الخليل الفراهيدي في مجلة (البلاغ) ع: ٢ - ٣ سنة ١٩٧٣ بالاشتراك مع المرحوم ضياء الدين الخبلري، ثم لما اعاد نشره في كتابه (عشرة شعراء مقلون) حذف اسم شريكه في الجمع والتحقيق (المورد).

ونحن نعجب بعد هذا الاعتراف من أن يهبط الى هذا المستوى من حصل على أرفع لقب علمي في العلوم الإنسانية، وشغل مناصب لإدارة شؤون الدراسات العليا. فمن أستاذ تدريسي في أقدم كلية بجامعة بغداد[**] إلى مسؤول في عمادتها عن الشؤون العلمية والدراسات العليا، الى رئيس قسم اللغة العربية فيها.

وأول غاية عليه تحقيقها في هذه المواقع توجيه طلبته الى تحري الصدق والأمانة وعفة النفس، وإلى البعد عن عقوق الاساتذة وعن المساس بسمعتهم، لا سيما الأموات منهم، فضلا عن رعاية حقوق الأخوة والصداقة التي تربطه بغير العراقيين الذين خدموا اللغة العربية، ويسروا إحياء ميراثها بتقديم المخطوط بين ايدي المحققين.

لو كان الضامن قد حذف الاسمين واكتفى لكان الخطب أيسر ولكنه سجل على نفسه مخالفات ادبية وعلمية. فقد كان قادرا، لو كان أمينا، على أن يعتذر من أول الأمر عن الالتزام بالشرطين اللذين قدمهما له استاذه وأن يترك العمل لغيره لولا أن غره المخطوط النفيس والأثر الوحيد الذي تحمل الدكتور تورال عناء تصويره وجلبه من تركيا أو نسخه على ما فيه من قدم وصعوبة في القراءة، وهو بذلك قد يسر أمر تحقيقه وتقريبه من الإنجاز.

إن تصرف الدكتور الضامن والقول الذي اطلق فيه (الحقيقة) المؤلمة بعد سبع عشرة سنة يشيران الى ما يمس سمعة المجمع العلمي العتيد، وسمعة أعضائه وسمعة الباحث العراقي وأساتيذ الجامعة، وذلك من خلال الآتي:

اولا: أنه حاول استغفال أرفع مؤسسة علمية في القطر تقوم على رعاية اللغة العربية والحفاظ على سمعة أبنائها وخدامها، فارتضى ان يقدم نتاجا منسوبا إلى ثلاثة اشخاص زورا، لأن الذي قام به هو واحد فقط لم يشاركه فيه أحد على ما صرح هو نفسه به.

ثانيا: وصف نفسه بالمساومة على حساب الأمانة العلمية بإقدامه على طلب نشر كتاب اعترف بأنه لم يشتغل فيه احد سواه، لكنه ارتضى أن يضيف معه آخرين. ولعل احدهما قد حصل على ترقية علمية بالكتاب، فتكون على هذا ترقية مزورة ناتجة عن سرقة جهد الدكتور الضامن.

ثالثا: تضمن كلامه اتهاما صريحا لعالم مجمعي واستاذ من اساتذة جامعة بغداد، اتهمه بابتزاز جهد طلبته العلمي، ونسبة نتاجهم الى نفسه وحاشاه، لقاء تيسير طبعه في الدائرة التي ينتسب اليها مستغلا موقعه الوظيفي فيها.

رابعا: وفي هذا تجريح بالمؤسسة وتشكيك بامانة منتسبيها، واجتراء على أحد اعضاء اسرتها بعد موته. ونظن أن العدالة تقتضي ان تنتصف لنفسها ولمنتسبيها أمام القضاء.

خامسا: وفي تصرف الضامن نتج ضياع حقوق معنوية وحقوق مادية، وهي حجب ما قام به كل من الأستاذين من عمل علمي في مجال تحقيق التراث، واخفاء عمليهما عن المؤرخين وعن الأجيال اللاحقة، وحجب الحقوق المادية عن ورثة المرحوم القيسي والاستاذ التركي حسين تورال.

سادسا: بالموازنة بين النشرتين لم أقف على خلاف بينهما او زيادة معلومات أو تنقيحات اصولية. ويكون ادعاء الضامن تنقيح الكتاب أو إضافة جديد إليه غير صحيح.

سابعا: واما احتجاجه بات المرحوم الشاعر وليد الأعظمي كان على علم بما جرى فهو تشبث ضعيف لتبرير التصرف يكذبه أن المرحوم الخطاط

[**] لم تكن الآداب اقدم كلية في جامعة بغداد (المورد).

الأعظمي قد كتب عنوان (دقائق التصريف) واسم مؤلفه واسماء المحققين الثلاثة بخط يده، وختمه بصريح توقيعه. وتلك شهادة منه على اشتراك الثلاثة بالعمل.

ثامنا: ماذا عسى الاستاذ التركي أن يقول عنا نحن العراقيين لو سمع بالخبر وهو الحريص على اللغة العربية، وائتمننا على جهده حين اودعه لدى أستاذه. فهل يصح أن يكافأ بحذف اسمه من كتاب جلب مخطوطته من تركيا، وبذل جهداً في نسخه وتحقيقه؟!

يبقى أن أشير الى ان المفهوم من ذوي المرحوم القيسي انه كان يجلس في دارد مع حسين تورال جلسات طويلات يتحاوران فيها حول الكتاب، ويسجلان ملاحظات عن المخطوط. وعرفت من بعض من كان في المجمع العلمي وغيره أنهما قطعا شوطا كبيرا قبل ان يسافر تورال الى بلده، ثم بعدها كما يبدو، اقترح الاستاذ القيسي على تلميذه (الأمين) حاتم الاشتراك في التحقيق الذي تم في حياته، ولا شك ان المرحوم كان يراجع المسودات حتى أخذ طريقه الى النشر عام ١٩٨٧.

نعم قد يبذل بعض المشتركين في التأليف الواحد جهدا اكثر من غيره، وهو أمر غير منكور ولكن لا يحل لأي واحد منهم ان ينفي عن غيره كل عمل في الكتاب. ذلك تجاوز على الحقوق. لذا من حق المجمع الموقر الذي نشر الكتاب أولا أن يتولى الأمر. واقترح الآتي:

اولا: مفاتحة دار البشائر للطباعة والنشر بوجوب تصحيح الخطأ الذي وقعت فيه لأنها علمت أن المطبوع صادر عن المجمع العلمي العراقي الذي له الحق وحده في التصرف به وان تثبت اسم المحققين الثلاثة على الغلاف وصفحة العنوان وتذيع الحقيقة للمطالعين.

ثانيا: نشر هذه المذكرة في مطبوعات المجمع وتعميمها على وسائل الإعلام والمؤسسات العلمية في الأقطار العربية.

ثالثا: مقاضاة الدكتور الضامن على تصرفه المتعمد، واعادة حقوق الأستاذين المادية والمعنوية، لأن الكتاب صدر عن المجمع.

رابعا: اعلام الدكتور حسين تورال عن طريق بريده الالكتروني بخبر نشر الكتاب خاليا من اسمه ليقدم إيضاحا عن جهده في تحقيق المخطوط والمطالبة بحقوقه.

خامسا: كتاب (التذكرة الفخرية ) اصدره المجمع العلمي سنة ١٩٨٤ بتحقيق الدكتورين نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن. قام الأخير بنشره ثانية في دار البشائر بدمشق سنة ٢٠٠٤، وحذف من النشرة اسم استاذه القيسي معللا لذلك بأنه لم يشترك معه في التحقيق إلا بصفحات حذفها من الطبعة الجديدة.

أقول: هذا الكتاب له كلام آخر إن شاء الله.